لقاء في الطريق

حلَّت ذكرى مولدي في الثامن من نوفمبر، وحسبتُ أن أفضل طريقة للاحتفال بها أن أقوم بإجراء محادثة مع شخص مجهول لي.

وقد حدث، في نحو العاشرة من صباح هذا اليوم، أن استوقفتُ، عند التقاء شارعي فلوريدا وقرطبة، رجلًا أنيقًا، في الستين من عمره، وبيده اليمنى حقيبة أوراق، جعلتني أظنُّ أنه محامٍ أو من الكتبة العدليين. قلتُ له: معذرةً يا سيدي .. لعلك تتكرم وتخبرني كيف أصل إلى (ساحة مايو).

توقف الرجلُ وحدجني بنظرة سريعة، وسألني بإهمال: هل تقصد ساحة مايو أم طريق مايو؟. فقلت له: في الحقيقة، أنا أريدُ أن أذهب إلى ساحة مايو، ولكن إن لم يكن ذلك ممكنًا، فإنني أرضى بأي مكان آخر.

قال: لا بأس، إذن. وكان متلهفًا للحديث، فواصل، دون أن يعيرني أدنى اهتمام، مشيرًا إلى اتجاه الجنوب،: سِرْ في هذا الطريق، واعبر فيامونتي وتوكومان ولافال.

وهنا، أدركتُ أنه مستمتع وهو يردد أسماء ثمانية شوارع عليَّ أن أعبرها، فقررتُ أن أقاطعه: هل أنت متأكد مما تقوله؟.

ردَّ: نعم .. أنا متأكد.

فرحتُ أفسر له: لعلك تسامحني لتشككي فيما قلت، حيث أنني قابلتُ منذ دقائق قليلة لا أكثر سيدًا فاضلًا، اخبرني بأن ساحة مايو فب الاتجاه الآخر.

وأشرت بيدي إلى اتجاه ساحة سان مارتن. فلم يجد رفيق الطريق شيئا يقوله إلا: لا بد أنه ليس من أهل المدينة.

قلت: أيًا كان الأمر، فقد كان الرجل، كما سبق أن قلت لك، سيدًا فاضلًا يشع وجهه ذكاءً، وبطبيعة الحال، فأنا أميل إلى تصديقه هو، لا تصديقك.

فسألني: حسنًا، أخبرني، لماذا تميل إلى تصديقه، لا إلى تصديقي؟.

فقلت: ليست المسألة هي ميلي إلى تصديقه لا تصديقك أنت، ولكن، كما سبق أن ذكرتُ، كانت تبدو عليه سمة الرجال الأفاضل.

قال: ماذا تقول؟ .. هل أفترض أنني أبدو كأحمق؟!.

فصُدِمتُ، وأسرعت أقول: لا .. لا .. لم يقل أحد شيئًا كهذا.

فقال: أنت الذي قلت أن الرفيق الآخر له وجه ذكي.

قلت له: حسنًا .. دعني أُصدِقُكَ القولَ، فقد كان ذلك الرجل يتمتع بمظهر ذكي.

وكان صبر شريك الحوار آخذًا في النفاد. قال: حسنًا يا سيدي، لقد أضعتُ وقتًا كثيرًا، لذلك فإنني أستودعك الله، وأواصل سيري.

فعدتُ أسألُه: طيب .. ولكن كيف أصل إلى ساحة سان مارتن؟.

فاربدَّ وجهه غضبًا، وقال: ولكنك قلت أنك تريد الذهاب إلى ساحة مايو؟!.

قلت: لا .. ليس إلى ساحة مايو، ولكن إلى ساحة سان مارتن .. أنا لم أقل شيئًا بخصوص ساحة مايو.

فأشار، هذه المرة، إلى الشمال، وقال: في هذه الحالة، سر في طريق كالي فلوريدا بعد أن تنتهي من شارع باراجواي.

فاحتججتُ قائلًا: إنك تدفعني للجنون .. ألم تقل لي من قبل أن عليَّ اتخاذ الاتجاه العكسي؟.

ردَّ: كنت تريد الذهاب إلى ساحة مايو.

قلتُ: لم يحدث قط أن تحدثت عن ساحة مايو. ولمَ يكون عليَّ أن أقول ذلك؟. فإما أنك تجهل اللغة، أو أنك تسير نصف نائم!.

تلون وجهه بالأحمر؛ ورأيت يده اليمنى تُحكم قبضتها على الحقيبة، وتمتم بكلمات لا يحسن ذِكرُها هنا، وغادرني في خطوات سريعة لا تخلو من عنف، فانتابني شعورٌ بأنه كان مستاءً إلى حد ما.